إصدارات مخبر إسهامات علماء الجزائر في إثراء العلوم الإسلامية
كلية العلوم الإسلامية - جامعة الشهيد حمه لخضر - الوادي - الجزائر

بحوث الملتقى الدولي الثامن

جهود علماء الغرب الإسلامي في تنزيل النص القرآني على الواقع

بتاريخ: 21و22 ربيع الثاني 1444هـ / الموافق لـ 15 و16 نوفمبر 2022

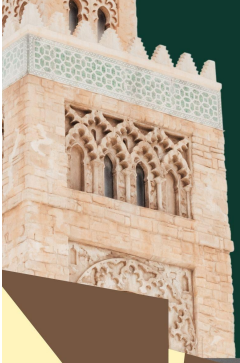

الترغيب والترهيب عند الإمام الثعالبي في تفسيره من خلال اسقاطاته للنص القرآني

د/ زكرياء قادي
قسم أصول الدين–معهد العلوم الإسلامية – جامعة الوادي
Gadi-zakaria@univ-eloued.dz

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

ملخص

تعنى هذه الورقة البحثية والمقدمة إلى الملتقى الدولي الثامن بمعهد العلوم الإسلامية بجامعة الوادي، بالبحث في تفسير الإمام الثعالبي من خلال تنزيله لتفاسيره للقرآن الكريم على الواقع المعاش آنذاك، إذ يعد الإمام الثعالبي من العلماء الأجلاء في ذلك الزمان حيث اختص في علوم عديدة كالتفسير والحديث والفقه وغيرها، ومن خلال استقراء كتابه حاولت أن أصنف إسقاطاته على الواقع حيث تعين علي أن أصنفها ضمن باب التغيب والترهيب.

Abstract:

This research paper, presented to the Eighth International Forum at the Institute of Islamic Sciences at El-Oued University, is concerned with researching the interpretation of Imam Al-Thaalibi by drop on reality him for his interpretations of the Holy Qur'an on the reality lived at the time, as Imam Al-Thaalibi was considered one of the distinguished scholars at that time, as he specialized in many sciences such as interpretation, hadith, jurisprudence and others. And by extrapolating his book, I tried to classify its projections on reality, as I had to classify them under the section of absenteeism and intimidation.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين وبه نستعين، ولا عدوان إلا على الظالمين المعتدين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولي الصالحين، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، الصادق الوعد وإمام المرسلين، صلّى الله عليه وعلى آله أجمعين أما بعد:

فقد قيّض الله لكتابه رجالاً أفذاذاً، أفنوا أعمارهم في الدفاع عنه بحفظه في الكتب والصدور، من زمنه ﷺ، إلى يوم الناس هذا، في شتى ربوع الأرض مشرقاً ومغرباً، فغزوا به ما شاء الله أن يغزوا من الأمصار، فكان قرين القرآن الكريم في مختلف مجالس العلم، فكلما ذُكر القرآن إلا وكان للتفسير مكاناً في ذلك، فيشرحون مبهمه، ويقيدون مهمله، ويفصلون

مجمله، فلا انفصال لأحدهما عن الآخر، فكانت هذه سنة الله في الكون، فبرز في كل عصر من يتصدر لهذا العلم الجليل في كل مكان، فكان من هؤلاء الرجال علماء وأئمة من بلاد المغرب الإسلامي، فبرزوا بالدقة في تصانيفهم، والتحري في نقلهم للأخبار وتحمّلها، فقد كُتب اسمهم مع كبار الأئمة، وقد وقع اختياري على أحد علماء المغرب الإسلامي، فهو على شهرته في علم القرآن والتفسير، وبه اشتهر، فقد كان من جهابذة أهل التفسير وهو الإمام أبو زيد عبد الرحمن الثعالبي الجزائري، فكان عنواناً لبحثي التالي: الترغيب والترهيب عند الإمام الثعالبي في تفسيره من خلال إسقاطاته للنص القرآني.

فمن أسباب اختياري لهذا الإمام بهذا العنوان هو: شهرته الفائقة بتفسيره للقرآن العظيم المسمى بـ: "الجواهر الحسان في تفسير القرآن" أو كما يسميه بعضهم بنسبته إليه: "تفسير الثعالبي"، وعند البحث والتقصي تبيّن أنه من الشروح العظيمة في زمانه بين الشروح المعتمدة إذاك.

ومن خلال هذا نطرح إشكالية بحثنا والتي تتمثل فيما يلي:

- من هو الإمام الثعالبي؟
- فيم تجلت إسقاطاته على الواقع في تفسير كتابه؟

أهداف الموضوع: يهدف الموضوع إلى إبراز أحد علماء الجزائر إلى طلبة العلم في تخصص علوم القرآن والتفسير خاصة وميدان العلوم الإسلامية عامة بأن هذا الإمام: وهو عبد الرحمن الثعالبي قد كان مفسرًا بامتياز وهذا من خلال ما هو موجود في تفسيره الجليل.

وقد قسمت بحثي هذا إلى ثلاثة مباحث:

أما الأول فقد جعلته لترجمة الإمام الثعالبي، وجعلت فيه مطلبين، أولهما خصصته لحياته الشخصية، والثاني لحياة الإمام الثعالبي العلمية.

وأما المبحث الثاني فقد جعلته للتعريف بعلم التنزيل القرآني وأنواعه، وأما الثالث فقد جعلته كتطبيقات لإسقاطات الإمام الثعالبي على الوقع في تفسيره الجواهر الحسان

ثم خاتمة: ذكرت فيها أهم النتائج والتوصيات.

هذا؛ فما كان من توفيق فمن الله وحده فله الحمد والشكر، وما كان من خطأ أو نسيان فمني ومن الشيطان، واللهَ أسأل أن يجعل بحثي هذا نافعاً، ولوجهه تعالى خالصاً، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المبحث الأول: ترجمة الإمام الثعالبي

أذكر فيه جانباً من حياة الإمام الثعالبي الشخصية، وآخر من حياته العلمية.

حياته الشخصية: وأعرج في هذا المطلب على ذكر مولده ونشاته وتاريخ وفاته.

اسمه: هو فخر علماء الجزائر الإمام المسند: أبو زيد عبد الرحمن بن مخلوف الجزائري، بن عمر بن نوفل بن منصور بن محمد بن سباع بن مكي بن ثعلبة بن موسى بن سعيد بن المفضل بن عبد البر بن قيس بن هلال بن عامر بن حسان بن محمد بن جعفر بن أبي طالب، ويلقب بالثعالبي نسبة إلى الثعالبة[1] الذين استوطنوا متيجة[2].

مولده ونسبه: ولد الثعالبي سنة 785هـ، أو في التي بعدها بوادي "يسر" على نحو ست وثمانين كيلومتراً بالجنوب الشرقي من عاصمة الجزائر، بولاية بومرداس حالياً، وهو موطن آبائه وأجداده الثعالبة، أبناء ثعلب بن علي من عرب المعقل، فنشأ نشأة علم وصلاح بين أحضان أبويه، وتلقى مبادئ قراءته وتعلمه بالجزائر العاصمة وضواحيها، وفي سنة 802هـ، ارتحل إلى بجاية حيث قضى فيها ما يقرب من سبع سنوات، لازم فيها حضور مجالس علمائها وتلقى الدروس في مختلف الفنون[3].

ولم تشر كتب التراجم إلى تاريخ زواج الثعالبي، ويبدو أنه لم يتزوج حتى عاد إلى الجزائر واستقر بها نهائيا، وقد أنجب ثمانية أولاد كلهم من بطن أم واحدة اسمها مريم، منهم أربعة ذكور، وأربع إناث؛ أما الذكور فهم: - محمد الصغير توفي باكراً بمرض الطاعون سنة 846هـ،- محمد ابن الصالحية توفي سنة 851هـ، - محمد الكبير كان حياً حين وفاة أبيه، - يحي، وبه كان الثعالبي يكنى أولاً، ثم استقرت لأبي زيد.[4]

أما البنات فهن: فاطمة، ورقية، ومحجوبة، وقد توفين وهن صغيرات في سنة واحدة،

---

[1] - الثعالبة: قيل أنهم بطن ينتسبون إلى ثعلب بن علي بن بكر بن صفير، من العدنانية، كانوا يقيمون في الجزائر، وقيل هي نسبة إلى خياطة جلود الثعالب، وعمل الفرآء. ينظر: الأنساب للسمعاني، تحقيق المعلمي اليماني، ط1، 1382هـ، 1962م، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الهند، ج3، ص132.

[2] - ينظر: شجرة النور الزكية، محمد ابن سالم مخلوف، تعليق عبد المجيد خيالي، الطبعة الأولى، 1424 هـ - 2003 م، دار الكتب العلمية، لبنان، فرع فاس، جزء 1، ص 382. غنيمة الوافد وبغية الطالب الماجد، فهرست مرويات الثعالبي، تحقيق: محمد شايب شريف، الطبعة الأولى، 1426هـ، 2005م، دار ابن حزم، بيروت لبنان، ص 11، آراء الشيخ عبد الرحمن الثعالبي الاعتقادية، من خلال تفسيره الجواهر الحسان، رسالة ماجيستير في العقيدة، علي بن يحي كعبي، إشراف: شريف الشيخ صالح أحمد الخطيب، جامعة أم القرى، الملكة العربية السعودية، 1435هـ، 2014م. ص 15.

[3] - ينظر: غنيمة الوافد، المرجع السابق، ص 11.

[4] - ينظر: التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، محمد بن ميمون الجزائري، تقديم: محمد بن عبد الكريم، الطبعة الثانية، 1981م، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ص 343، 345. الآراء عبد الرحمن الثعالبي، مرجع سابق، ص 16.

وهي سنة 841هـ، أما بنته الرابعة فهي السيدة عائشة، توفيت سنة 851هـ[1].

نشأته: لم تذكر المصادر المترجمة لهذا الغمام شيئاً عن نشأته، إلا أن الظن بحال من حاله كالإمام يؤكد أن نشأته في بيت علم وفضل، ولا يبعد وجود أهل الصلاح في أسرته، كما أن الظن بمثله أن يكون درج على طلب العلم، كما يطلبه اهله من قراءة كتاب الله وحفظه في الصغر، واطلاعه على كتب التاريخ، والتفسير، والحديث، والأصول، والكلام، والأدب، واللغة، والنحو، والصرف، والعروض، وغيرها[2].

وفاته: ظل الإمام الثعالبي طيلة حياته عاكفاً على الطاعات، متجرداً عن الدنيويات إلى أن ناداه أجله المحتوم صبيحة يوم الجمعة 23 رمضان من سنة 875هـ، دفن بمكان يعرف بـ "جبانة الطلبة"، خارج "باب الواد" بالجزائر العاصمة[3].

حياته العلمية: في هذا المطلب أذكر حياة الإمام الثعالبي العلمية، مبيّنا من خلال ذلك أبرز شيوخه، وبعضاً من تلاميذه، وأذكر بعضاً من مؤلفاته، ثم بعضاً من أقوال من أثنى عليه من العلماء.

شيوخه: تتلمذ الثعالبي على يد ثلة من العلماء المبرزين في زمانهم، فكان نصيبه الأكبر في طلبه للعلم حال رحلته للمشرق، وتونس، فكان ممن يولي اهتماماً للشيوخ حتى أنه يوصي بذكر مشايخ المؤلفين حتى يعرف قدر الرجال وعلى من تتلمذوا فقال: «وينبغي لمن ألّف أن يعرّف بزمانه وبمن لقيه من أشياخه، ليكون من يقف على تأليفه على بصيرة من أمره ويسلم من الجهل به، وقد قلّ الاعتناء بهذا المعنى في هذا الزمان وكم من الأفاضل انتشرت عنه فضائل جهل حاله بعد موته لعدم الاعتناء بهذا الشأن»[4]، فذكرت كتب التراجم للثعالبي عدداً من الشيوخ أذكر بعضاً منهم:

– أبو القاسم أحمد بن محمد بن إسماعيل البلوي البرزلي، أحد أئمة المالكية صاحب الفتاوى المتداولة، وهي في مجلدين، كان البرزلي موصوفاً بشيخ الإسلام توفي سنة 844هـ[5].

– أبو مهدي عيسى بن أحمد بن محمد الغريني التونسي قاضي الجماعة بها وحافظها العالم الجليل المعظم، أوحد أهل زمانه علماً وديناً وفضلاً توفي سنة 813هـ، 815هـ[6].

– محمد بن الخطيب بن محمد بن مرزوق الإمام المحقق العلامة المفسر المحدث

---

[1] - ينظر المرجع السابق، ص 16.

[2] - ينظر: الجواهر الحسان في تفسير القرآن، للثعالبي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، وآخرون، الطبعة الأولى، 1418هـ، 1997م، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ص 09، 10.

[3] - ينظر: غنيمة الوافد، مرجع سابق، ص 12.

[4] - ينظر: غنيمة الوافد وبغية الطالب الماجد، مرجع سابق، ص 05.

[5] - ينظر: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، شمس الدين السخاوي، منشورات دار مكتبة الحياة – بيروت، لبنان. ج 11. ص 133.

[6] - ينظر: شجرة النور الزكية، مرجع سابق، ص 243.

الراوية، أخ عنه أعلام من أهل المشرق والمغرب، توفي سنة 842هـ[1].

– عبد الله بن مسعود بن علي أبو محمد القرشي التونسي، يعرف بابن القرشية، أخذ عن أبي العباس أحمد الزواوي شيخ بجاية، توفي سنة: 827هـ[2].

– أحمد بن عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن ابي بكر الولي ابو زرعة الكردي الأصل، المعروف بالعراقي، توفي سنة 836هـ[3].

تلاميذه: تتلمذ عليه يده ثلة من طلبة العلم الاجلاء ونذكر منهم:

– أبو العباس أحمد بن محمد بن زكري التلمساني ألف كتاباً في مسائل القضاء والفتيا، توفي سنة: 899هـ[4].

– أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم التلمساني، توفي سنة: 909هـ[5].

– علي بن عباد بن أبي بكر البستريني المغربي المالكي، سمع الحديث عن الثعالبي، له تأليف منها: "لطائف الإشارات في مراتب الأنبياء في السموات"[6].

مؤلفاته: للإمام الثعالبي تراث كبير، تمثل في مصنفات ومؤلفات، تفوق التسعين مؤلفًا، لايزال بعضها مخطوطاً، بعضها متواجد بالسودان، وبعضها بالمكتبات الخاصة والعامة بالجزائر، والآخر بالمغرب وتونس وغيرها من المكتبات[7].

– الجواهر الحسان في تفسير القرآن، في عدة أجزاء، وهو أعظم كتبه، وأوسعها انتشاراً، وأعظمها نفعاً، وقد أشار الثعالبي في مقدمة تفسيره إلى أن الجواهر الحسان اختصره مما اشتمل عليه تفسير ابن عطية، فقال: "وزدته فوائد جمة من غيره من كتب الأئمة وثقات أعلام هذه الأمة، وذلك قريب من مائة تأليف، وما منها تأليف إلا وهو منسوب لإمام مشهور بالدين ومعدود من المحققين"[8].

– قطب العارفين، ومقامات الأبرار و الأصدقاء [9].

– جامع المهمات في احكام العبادات في فروع الفقه المالكي[10].

---

[1] - ينظر: شجرة النور الزكية، المرجع نفسه، ص 244.

[2] - ينظر: الضوء اللامع، مرجع سابق، ص 244.

[3] - ينظر: الضوء اللامع، المرجع نفسه، ص 236، 244.

[4] - ينظر: شجرة النور الزكية، مرجع سابق، ص 266.

[5] - ينظر: الضوء اللامع، مرجع سابق، ص 374.

[6] - ينظر: شجرة النور الزكية، مرجع سابق، ص 244.

[7] - ينظر: تاريخ الجزائر العام، لعبد الرحمن الجيلالي، دار الثقافة، بيروت، لبنان، جزء 02، ص 182، نقلاً عن : علي كعبي، آراء الثعالبي الاعتقادية، مرجع سابق، ص 21. وغنيمة الوافد، ص 11.

[8] - ينظر: مقدمة تفسير الجواهر الحسان، للثعالبي، مرجع سابق، جزء 01، ص 117.

[9] - ينظر: معجم المؤلفين، عمر بن كحالة الدمشقي، مكتبة المثنى - بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت، لبنان، جزء 05، ص 192.

[10] - ينظر: المرجع السابق.

- تحفة القرآن في إعراب بعض آيات القرآن[1].
- شرح مختصر خليل[2].

ثناء العلماء عليه: اشتهر الثعالبي بزهده وورعه، واهتمامه بالعلم وطلبه، فأثنى عليه الكثير ومنهم نذكر:

- قال محمد بن محمد بن مخلوف[3]: "الإمام علم الأعلام، الفقيه المفسر المحدث الراوية العمدة الفهامة الصالح الفاضل العارف بالله الواصل أثنى عليه جماعة من العلماء والدين المتين"[4].
- وقال السخاوي[5]: "وكان إماماً علامة مصنفاً..."[6].
- وقال التنبكي[7]: "الشيخ الإمام الحجة العامل الزاهد الورع ولي الله الصالح، العارف بالله أبو زيد، اشتهر بالثعالبي، صاحب التصانيف المفيدة، وكان من خيار عباد الله الصالحين، وهو ممن اتفق الناس على صلاحه وإمامته، أثنى عليه جماعة من شيوخه بالقلم والدين والصلاح كالإمام الابي والولي العراقي والإمام الحفيد ابن مرزوق، وقد عرف هو بنفسه في مواضع من كتبه "[8].

- بطاقة تعريفيّة حول كتاب الجواهر الحسان في تفسير القرآن للثّعالبي

أريد من خلال هذا المطلب أن أُعطي صورة تعريفيّة موجزة حول جواهر الثعالبيّ، فأذكر: اسمه، ونسبته لمؤلّفه، وطبعاته، نبذة يسيرة عن منهجه من خلال مقدّمة تفسيره، وذلك في الفروع الآتية:

- **الفرع الأوّل:** اسمه ونسبته لمؤلّفه
- **أوّلا-** اسمه: يظهر من خلال الاطّلاع على بعض مؤلّفات الثّعالبيّ[9]، يتبين أنّ من

---

[1] - ينظر: شجرة النور الزكية، مرجع سابق، ص 265.

[2] - ينظر: التحفة المرضية، مرجع سابق، ص 342.

[3] - هو محمد بن عمر بن علي سالم مخلوف عالم بتراجم المالكية توفي سنة 1360هـ

[4] - ينظر: شجرة النور الزكية، ص 264.

[5] - هو محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوي، أبو عبد الله العالم المحدث المؤرخ، له مؤلفات منها: الجواهر والدرر، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، توفي سنة 902هـ، ينظر: معجم المؤلفين، مرجع سابق، جزء 03، ص 399.

[6] - ينظر: شجرة النور الزكية، ص 244

[7] - أحمد بن أحمد التنبكي، عالم فقيه مؤرخ، ينظر: معجم المؤلفين، مرجع سابق، جزء 01، ص 145.

[8] ينظر: نيل الابتهاج بتطريز الديباج، للتنبكي، تقديم: الدكتور عبد الحميد عبد الله الهرامة، الطبعة الثانية، 2000م، دار الكاتب، طرابلس، ليبيا، جزء 01، ص 285.

[9] ينظر مثلا: الثّعالبي، جامع الأمّهات في أحكام العبادات، ص177، وغنيمة الوافد وبغية الطالب الماجد، ص29.

منهجه الذي تميّز به التّصريح باسم مصنَّفاته، وهذا الذي رأيناه في تفسيره؛ حيث قال في مقدّمة تفسيره: "وسمّيته بـ: (الجواهر الحسان في تفسير القرآن)"[1].

- **الفرع الثّاني:** طبعات التّفسير

- رغم القيمة العلميّة التي حواها هذا التفسير إلاّ أنّه كتفسير ابن عطيّة، لم يُعن بتحقيق نصوصه، وتحرير مسائله، فلم يحقَّق تحقيقا علميّا رصينا، ومع هذا فقد طُبع عدّة طبعات، أذكر منها طبعتين فقط[2]:

- **أوّلا-** طبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، سنة: 1408هـ، تحقيق محمد علي معوض، وعادل أحمد عبد الموجود، في خمسة أجزاء. وهي أحسن الطبعات.

- **ثانيا-** طبعة دار عالم المعرفة للنشر والتّوزيع، الجزائر، طبعة خاصّة، سنة: 2011م، تحقيق عمّار الطّالبي، في أربعة أجزاء، وهذه الطبعة هي التي استطعت الحصول عليها ورقيّا؛ لذلك جعلتها العمدة في الدراسة.

- **الفرع الثّالث:** لمحة يسيرة عن منهجه الخاص من خلال مقدّمة تفسيره

- لقد سطّر الثّعالبي معالم منهجه الخاص الذي سار عليه في تفسيره، وهي على النّحو الآتي:

- **أوّلا-** جعل تفسير ابن عطيّة هو العمدة، وزاد عليه مسائل، وفوائد جمّة من غيره من الكتب.

- **ثانيا-** ما انفرد بنقله عن الطبريّ، فمن مختصر تفسير الطبريّ[3].

- **ثالثا-** كلّ ما في آخره (انتهى)، فليس هو من كلام ابن عطيّة، بل ذلك ممّا انفرد الثعالبيّ بنقله عن غيره.

- **رابعا-** جعل علامة (ت) لنفسه بدلا من (قلت)، وجعل علامة (ع) لابن عطيّة.

- **خامسا-** ما نقله من الإعراب عن غير ابن عطية فمن (مختصر أبي حيّان)[4] غالبا، وجعل (ص) علامة عليه.

- **سادسا-** كلّ ما نقله عن أبي حيّان، فإنّما نقْله له بواسطة الصّفاقسيّ غالبا، قال الصّفاقسيّ: وجعلتُ علامة ما زدتّه على أبي حيّان (م). وحيث أَطلَق الثعالبيّ فالكلام لأبي حيّان.

---

[1] ينظر: تفسير الثّعالبي، ج1، ص11.

[2] اقتصرت على ما وقفت عليه ورقيّا أو الكترونيّا.

[3] وهو مختصر الطبريّ لأبي عبد الله محمد اللّخميّ، ولم أقف – في حدود بحثي - على هذا المختصر.

[4] وهو: المجيد في إعراب القرآن المجيد، للصفاقسيّ، ولم أقف – في حدود بحثي - إلاّ على تحقيق: إعراب الحزب الأوّل من سورة البقرة، وإعراب الجزء الأخير من القرآن، وسوف أذكرهما خلال الدراسة التطبيقيّة، مع العلم هناك تحقيقات أخرى لم أتمكّن من الحصول عليها.

– **سابعا**- ما نقله من الأحاديث الصّحاح والحسان في (باب الأذكار والدّعوات) عن غير

– البخاريّ، ومسلم، وأبي داود، والتّرمذيّ، فأكثره من كتاب الأذكار، وكتاب سلاح المؤمن في الدعاء والذّكر[1].

– **ثامنا**- ما نقله في الترغيب والتّرهيب وأحوال الآخرة، فمعظمه من كتاب التّذكرة، وكتاب العاقبة[2]، وربّما زاد زيادات كثيرة من مصابيح السنّة[3]، وغيره[4].

المبحث الثاني: التنزيل القرآني على الواقع:

وأذكر في هذا المبحث التعريف بالتنزيل على الواقع وأنواعه.

– **التنزيل**: مصدر من الرباعي للفعل نزّل، وهي تدل على هبوط شيء ووقوعه من علو شيئا بعد الشيء، وأصله من نَزَلَ فتقول: نزَلَ الرجل عن دابته نزولا، ونزل المطر من السماء نزولًا[5].

وعرّف ابن فارس كلمة (تنزيل) بقوله: "ترتيب الشيء ووضعُه منزلَه"[6].

إلا أن المعاصرين قد استخدموا في تفاسيرهم مصطلح ال (تطبيق) أمثال رشيد رضا، وابن باديس، وسيد قطب وغيرهم، ويريدون بذلك تطبيق الآيات على القرآنية على الحوادث والوقائع المعاصرة لهم.

والتعبير الأول أولى لأنه يحمل معنى التطبيق، ويوحي بأن آيات القرآن الكريم حية متجددة، تتنزل في كل وقت وحين لمعالجة الوقائع والأحداث عبر مرّ العصور، ولأن لفظ التنزيل يعطي رفعة للآيات وأنها تنزل من علو بحاكمية وسلطان[7].

– **الآيات**: جمع آية وتطلق في اللغة على معان عدة منها[8]:

1- **العلامة**: ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ البقرة (248).

---

[1] كتاب الأذكار للنّووي، وكتاب سلاح المؤمن لابن الإمام.

[2] كتاب التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة للقرطبيّ، وكتاب العاقبة في ذكر الموت لعبد الحقّ الإشبيلي.

[3] كتاب مصابيح السنّة لأبي محمد البغوي.

[4] ينظر: تفسير الثعالبي، ج1، ص7-9.

[5] يُنظر جمهرة اللغة لابن دريد (827/2)، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (417/5)، ولسان العرب لابن منظور (656/11).

[6] معجم مقاييس اللغة لابن فارس (417/5).

[7] تنزيل الآيات على الواقع عند المفسرين، دراسة وتطبيق لعبد العزيز بن عبد الرحمن الضامر، ط 01، 2007م، جائزة دبي الدولية للقران الكريم ص 28.

[8] ينظر: معجم مقاييس اللغة، (168/1). ولسان العرب (62/14).

2- **العبرة:** ومنه قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ البقرة (248).

3- **الأمر العجيب:** ومنه قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ المؤمنون (50).

4- **البرهان والدليل:** ومنه قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ﴾ الروم (22).

5- **الجماعة:** ومنه قولهم: خرج القوم بآيتهم، أي بجماعتهم.

– **وعُرّفت في الاصطلاح**[1]: بأنها طائفة ذات مطلع ومقطع مندرجة في سورة من القرآن الكريم.

– والمناسبة بين هذا المعنى الاصطلاحي والمعاني اللغوية السالفة الذكر واضحة، لأن الآية القرآنية معجزة ولو باعتبار انضمام غيرها إليها، ثم هي علامة من صدق ما جاء به ﷺ، وفيها عبر وذكرى لمن أراد أن يتذكر، وهي من الأمور العجيبة لمكانها من السمو والإعجاز، وفيها معنى الجماعة لأنها مؤلفة من جملة كلمات وحروف، وفيها معنى البرهان والدليل على ما تضمنته من هداية وعلم على قدرة الله وعلمه وعلمه وحكمته، وعلى رسوله في رسالته[2].

– **الواقع:** اسم فاعل للفعل وَقَعَ، وهو يدل على سقوط شيء، فتقول: وقع الشيء وفوعا فهو واقع[3].

والمقصود بالواقع في هذا المقام: هو عبارة عن السنن الإلهية، والأفعال الإنسانية الحاصلة في الزمن المعاصر.

وهذا الواقع هو الذي يراد تنزيل الآيات عليه، وتوجيهه بحسبها[4].

– **المفسِّرين:** جمع مُفَسِّر، وهو المبين والموضح، يقال فسّر الشيء أي أبانه وأوضحه[5].

– **أما اصطلاحا:** فلا يوجد من وضع له حدا منطقيا سوى ما كتبه الدكتور حسين الحربي، وكذلك مساعد الطيار:

– قال الحربي: "هو من له أهلية تامة يعرف بها مراد الله تعالى بكلامه المتعبد بتلاوته، قدر الطاقة، وراض نفسه على مناهج المفسرين، مع معرفته جُمَلًا كثيرة من تفسير كتاب الله ، ومارس التفسير علميا بتعليم أو تأليف"[6].

---

[1] مناهل العرفان للزرقاني (302/1).

[2] المرجع نفسه (303/1).

[3] ينظر جمهرة اللغة (944/2)، ومعجم مقاييس اللغة (133/6-134)، ولسان العرب (402/8).

[4] ينظر خلافة الإنسان بين الوحي والعقل، للدكتور عبد المجيد النجار ص (112).

[5] ينظر: معجم مقاييس اللغة (504/4)، ولسان العرب (55/5).

[6] قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي (33/1).

- وقال الطيار: "هو من كان له رأي في التفسير، وكان متصديا له"[1].

والمتأمل في هذين التعريفين، يلاحظ أنهما يدوران حول معنى واحد، إلا أن الأول قد أصاب تعريفه شيئا من التطويل.

فقوله مثلا: (قدر الطاقة): قيد غير ضروري، لأن كل مفسر لا يمكن له أن يفسر كلام الله تعالى إلا بعد أن يبذل وسْعه وقدر طاقته بالتدبر والتأمل.

وقوله: (وراض نفسه عن مناهج المفسرين): قيد لا حاجة له في التعريف أيضًا، لأن العلم بمناهج المفسرين ليس له أثر في فهم التفسير، ولو أُثبت هذا القيد لخرج منه الصحابة والتابعون رضي الله عنهم.

وقوله: (مع معرفته جملًا كثيرة من تفسير كتاب الله): شرط مكرر، لأن معرفة جمل كثيرة من التفسير تُعتبر من مؤهلات تفسير كلام الله تعالى الذي عبّر عنه في بداية تعريفه بقوله: "من له أهلية تامة في التفسير"، فلا داعي لتكراره.

فكان المناسب أن يقول: هو من له أهلية تامة في التفسير، ومارسه علميا بتعليم أو تأليف.

وأما الدكتور الطيار فإنه قد أوجز التعريف، واختزل في طياته الكثير من المعاني، ولهذا فهو المرجَّح، وعلى هذا فإن تعريفه احتوى على ثلاثة أمور:

الأول: أن يكون أهلا للتفسير.

الثاني: أن يكون له رأي في التفسير.

الثالث: أن يكون متصديا له[2].

فلابد أن يرتبط كل منهم بالآخر دون الفصل بينهم، فمن كانت له آراء في التفسير لكنه غير متصدٍ له فإنه لا يكون في عداد المفسرين والعكس، ومن كان متصديا له ولكن الأهلية فيه منتفية فإنه لا يسمى مُفسِّرا وهكذا[3].

ولذلك فإننا نستطيع أن نصفه بكونه مشاركا في التفسير، كما هو رأي الدكتور الطيار، أو مختصا في التفسير وعلوم القرآن، أو له جهود في الدراسات القرآنية.

ونحو ذلك من العبارات والنعوت المناسبة لهون أن يُطلق عليه وصف (المُفسِّر).

تعريفه مركبًا:

لا يوجد أحد عرّف هذا الموضوع إجمالا بتعريف يحدد معالمه، ويبرز حدوده، إلا ما كان منها من اجتهاد في وضع مفهوم شامل لهذا الأمر:

---

[1] مفهوم التفسير والتأويل، لمساعد الطيار ص (215)

[2] تنزيل الآيات على الواقع عند المفسرين، دراسة وتطبيق لعبد العزيز بن عبد الرحمان الضامر، ص 33.

[3] المرجع السابق ص 33.

هو مقابلة الأحداث المعاصرة للمفسر بما يشابهها في كتاب الله تعالى، سواء كانت المقابلة تامة أو جزئية أو مخالفة لما عليه الآية [1].

أنواع التنزيل القرآني:

قسم العلماء تنزيل الآيات على الواقع من خلال عملهم بعدة أنواع، يمكن حصرها في اعتبارين:

الأول: أنواعه باعتبار التصريح والتلميح، وهو على نوعين:

1. **تنزيل التصريح:** وهو أن يصرح المفسر بأن معنى هذه الآية حاصل في زمنه وواقعه، فيعبّر عنها أثناء تفسيره للآية بقوله: ".. كما هو الحاصل في زماننا"، أو ".. وهذا ما يكون في مجتمعنا"، ونحو ذلك من العبارات التي تفيد تصريح المفسر بما يكون في واقعه مشابها لما كانت عليه الآية الكريمة، وهذا النوع هو السائد والشائع والذائع فيها، ولذلك يصعب حصرها[2].

2. **تنزيل التلميح**: وهو أن يشير المفسر إلى أن معنى هذه الآية حاصل في زمنه وواقعه دون أن يصرح بذلك بل يورده على سبيل التعريض والتلميح، ولعل ذلك يرجع إلى الحالة السياسية في تلك الفترة التي لا تسمح بالإفصاح عن ما يكون فيها من القهر والظلم والفساد والإفساد والمخالفات العقدية والاجتماعية ونحو ذلك [3].

الثاني: أنواعه باعتبار جزئية والكلية وهو على ثلاثة أنواع[4]:

1. **تنزيل كلي**: وهو أن يأتي المفسر بآية وفي الواقع ما يطابق معناها تماما، ومثاله ما ذكره القرطبي رحمه الله عند قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا ﴾ الإسراء (45)، حيث ذكر بعض الروايات والتي منها إحالة امرأة أبي لهب عن رؤية النبي ﷺ لمّا علمت بنزول سورة المسد بشأنها وزوجها، فقرأ النبي ﷺ الآية السابقة فاعتصم عنها.

2. **تنزيل جزئي**: وهو أن يأتي المفسر بآية وفي الواقع ما يطابق جزءًا من معناها، ومثاله ما ذكره الفخر الرازي عند قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ التوبة (34) حيث قال: "ولعمري من تأمل أحوال أهل الناموس والتزوير في زماننا وجد هذه الآيات كأنها ما أنزلت إلا في شأنهم وفي شرح أحوالهم، فترى الواحد منهم يدّعي أنه لا يلتفت إلى الدنيا ولا يتعلق خاطره بجميع

---

[1] المرجع السابق ص 33.

[2] تنزيل الآيات على الواقع عند المفسرين، دراسة وتطبيق لعبد العزيز بن عبد الرحمان الضامر، ص 61

[3] تنزيل الآيات على الواقع عند المفسرين، دراسة وتطبيق لعبد العزيز بن عبد الرحمان الضامر، ص 62.

[4] المرجع نفسه ص 76.

المخلوقات، وأنه في الطهارة والعصمة مثل الملائكة المقربين، حتى إذا آل إلى الرغيف الواحد تراه يتهالك عليه ويتحمل نهاية الذل والدناءة في تحصيله". حيث نزّل جزءًا من الآية بالرغم من أنها تحتوي على أكثر من جزء كالصد عن سبيل الله وكنز الذهب والفضة وترك النفقة في سبيل الله، إلا أنه اقتصر على جزء منها، وهو أكل أموال الناس بالباطل فقط.

3. **تنزيل على ما يخالف المعنى**: ويستخدمه المفسر إذا وجد في واقعه أحوالا حثّ القرآن على خلافها والعكس، ويسمى أيضًا بالتنزيل العكسي، ومثاله ما كان يشتكي منه أبو حيان رحمه الله من أهل زمانه بمخالفتهم لكثير من أوامر الله تعالى، والتي منها الجهر بالدعاء إلى تعالى بطريقة بدعية تخالف شرع الله تعالى، ففي قوله تعالى:﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ الأعراف (55). يلاحظ أنه قد نزلها على ما يكون في واقعه فقال رحمه الله: "ولو عاش الحسن إلى هذا الزمان العجيب الذي ظهر فيه ناس يتسمون بالمشايخ، يلبسون ثياب شهرة عند العامة بالصلاح، ويتركون الاكتساب، ويرتبون لهم أذكارًا لم ترد في الشريعة، يجهرون بها في المساجد، ويجمعون لهم خدّاما يجلبون الناس إليهم لاستخدامهم، ونبش أموالهم...." [1].

المبحث الثالث: إسقاطات الإمام الثعالبي في كتابه تفسير القرآن في باب الترغيب والترهيب.

– ﴿وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ﴾ البقرة 212، ومعنى الفوقيَّة هنا في الدرجَةِ والقَدْر ويحتمل أن يريد أنَّ نعيم المتَّقِينَ في الآخرة فوق نعيم هؤلاء الآن. قلت: وحكى الداوديّ عن قتادة: فوقهم يوم القيامة. قال: فَوْقَهُم في الجنّة. انتهى.

فإن تشوَّفَتْ نفسُك أيها الأخُ إلى هذه الفوقيَّة، ونَيْلِ هذه الدرجة العَلِيَّة، فارفض دنياك الدنيَّة، وازهَدْ فيها بالكليَّة لتسلَمَ من كل آفة وبليَّة، واقتد في ذلك بخَيْر البريَّة[2].

- وفي هذا الإسقاط ترغيب لأهل زمانه في الزهد للدنيا ونيل الدرجات العلية.

– وقوله سبحانه: ﴿إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ ...﴾ آل عمران 120: الحَسَنَةُ والسيِّئة في هذه الآية: لفظ عامٌّ في كل ما يَحْسُنُ ويَسُوء، قلْتُ: ويجبُ على المؤمن أن يجتنب هذه الأخلاق الذميمة وَرُوِّينا في «كتاب الترمذيّ» ، عن وَاثِلَةَ بْنِ الأَسْقَعِ (رضي اللَّه عنه) ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلّى الله عليه وسلّم: «لَا تُظْهِرِ الشَّمَاتَةَ لأخِيكَ، فَيَرْحَمَهُ اللَّهُ وَيَبْتَلِيكَ»[3].

- وفي هذا الإسقاط ترهيب من الثعالبي لأهل زمانه من اتباع الأخلاق الذميمة

---

[1] ينظر البحر المحيط (4/312-313)، وتنزيل الآيات على الواقع عند المفسرين، دراسة وتطبيق لعبد العزيز بن عبد الرحمان الضامر، ص 78.

[2] «تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن» (1/ 430).

[3] «تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن» (2/ 99).

والاستشهاد بالحديث النبوي وهو من الإسقاط الاجتماعي الأخلاقي مع تدعيم قوله بحديث نبوي شريف.

– وقوله تعالى: ﴿وسارِعُوا إِلى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّماواتُ وَالْأَرْضُ﴾ آل عمران 133، والمعنى: سارعوا بالطَّاعة، والتقوى، والتقرُّب إلى ربِّكم إلى حالٍ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ فيها.

قلْتُ: وحقٌّ على مَنْ فَهِمَ كلامَ ربِّه أنْ يبادر ويُسَارع إلى ما ندبه إلَيْه ربُّه، وألَّا يتهاوَنَ بترك الفضائِلِ الواردَةِ في الشّرع: الالتزام بأوامر الله عز وجل من الواجبات وفضائل الأعمال الشرعي والديني[1].

- وهذا ترغيب إلى النصيحة والدعوة للأخلاق الفاضلة ومحاربة التهاون في الدين والإصلاح.

– وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَما وَهَنُوا لِما أَصابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَما ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ آل عمران 146 .

قلْتُ: واعلم (رحمك اللَّه) أنَّ أصْلَ الوَهَنِ والضَّعْفِ عن الجِهَادِ، ومكافحةِ العَدُوِّ هو حُبُّ الدنيا، وكراهيةُ بَذْلِ النفوس لله، وبذل مهجها للقتل في سَبيلِ اللَّهِ ألا ترى إلى حال الصَّحابة (رضي اللَّه عنهم) ، وقلَّتِهِمْ في صَدْرِ الإسلامِ، وكيف فتح اللَّه بهم البلاد، ودان لدِينِهِمُ العباد، لما بَذَلُوا للَّه أنفسَهُمْ في الجهاد، وحالِنا اليَوْمَ، كما ترى عددُ أهْل الإسلام كثيرٌ، ونكايتهم في الكُفَّار نَزْرٌ يسيرٌ» فانظر (رحمك اللَّه) ، فهل هذا الزمانُ إلا زماننا بعَيْنه، وتأمَّل حال ملوكنا، إنما هِمَّتهم جمْعُ المالِ مِنْ حرامٍ وحلالٍ، وإعراضُهم عَنْ أمْر الجهاد، فإنا للَّه وإنا إليه راجعُونَ على مصاب الإسلام[2] .

- وإسقاط ترغيب في تحريض ودعوة أهل زمانه على محاربة الأعداء وإلى الجهاد ومحاربة أهل الكفر حكاما ومحكومين.

– صدر سورة النساء: «قُلْتُ: تأمَّل (رحمك اللَّه) صَدْرَ هذه السورةِ معظمه إنَّما هو في شأن الأجوفَيْنِ البَطْنِ والفَرْجِ مع اللسان، وهما المُهْلِكَانِ، وأعْظَمُ الجوارحِ آفةً وجنايةً على الإنسان»[3] .

- وهذا الإسقاط ترهيب من الاهتمام بالأجوفين وهما البطن والفرج وما يؤول بالإنسان بسببهما.

– وقوله تعالى: ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ... ﴾ النساء 82: المعنى: أَفلا يتدبَّر هؤلاءِ المنافقُونَ كَلَامَ اللَّه تعالى، فتظهر لهم براهِينُهُ، وتلُوح لهم أدلَّته، قُلْتُ: اعلم (رحمك اللَّه تعالى) أنَّ تدبُّر

---

[1] «تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن» (2/ 105)

[2] «تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن» (2/ 120)

[3] «تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن» (2/ 176)

القرآن كفيلٌ لصاحبه بكُلِّ خير، وأما الهَذْرَمَة والعَجَلَةُ، فتأثيرُها في القَلْب ضعيفٌ[1].

- وهذا إسقاط ترغيب في الدعوة إلى القراءة المتأنية للقرآن المحققة للتدبر.

- وقوله تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آياتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ ... ﴾ الأعراف 146: المعنى: سأَمْنَعُ وأصُدُّ، قال سفيان بن عُيَيْنَة: الآياتُ هنا كلُّ كتابٍ منزّل .قال ع : والمعنى عن فَهْمِها وتصدِيقها، وقال ابن جُرَيْج: الآياتُ: العلامات المنصوبة الدالَّة على الوحدانية، والمعنى: عن النظر فيها، والتفكُّر والاستدلال بها، واللفظُ يعمُّ الوجْهَيْن «4»، والمتكبّرون في الأرض بغير الحَقِّ: هم الكُفَّار، قُلْتُ: ويدخل في هذا المعنى مَنْ تشبَّهَ بهم من عُصَاة المؤمنين . ترهيب عصاة المؤمنين من التشبه بالكفار وعده من الكبائر[2].

- وهذا تنزيل ترهيب في التحذير لأهل زمانه من الكبر والتشبه بالكفار.

- «وقوله سبحانه:﴿ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ...﴾ الأعراف 158 وهو حَضٌّ على اتباع نبينا محمّد صلّى الله عليه وسلّم، وقوله: الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِماتِهِ، أيْ: يصدق باللَّه وكلماته، والكلماتُ هنا: الآياتُ المنزلة مِنْ عند الله كالتوراة والإنجيل، وقوله: وَاتَّبِعُوهُ لفظ عامٌّ يدخل تحته جميعُ إلزامات الشريعة، جعلنا اللَّه مِنْ متَّبعيه على ما يلزم بمنِّه ورحمته.

قُلْتُ: فإن أردتَّ الفوْزَ أيُّها الأخ، فعليك باتباع النبيّ صلّى الله عليه وسلّم وتعظيمِ شريعته، وتعظيم جَمِيعِ أسبابه» ترغيب في الاقتداء والاتباع لرسول الله وسنته[3].

وقوله سبحانه: لَقَدْ كانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبابِ: أي: في قصص يوسُفَ وإِخوته وسائِرِ الرسلِ الذين ذُكِرُوا على الجملة، ولَمَّا كان ذلك كلُّه في القرآن، قال عنه: ما كانَ حَدِيثاً يُفْتَرى، والَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ التوراةُ والإِنجيلُ، وباقي الآية بيّن واضحٌ.

ت: كنت في وَقْتٍ أَنْظُرُ في «السيرة» لابْنِ هِشامٍ، وأتأمَّل في خُطْبة النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، وهي أوَّلُ خُطْبة خَطَبَها بالمَدِينَةِ، فإذا هاتف يقولُ: لَقَدْ كانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبابِ مَا كانَ حَدِيثاً يُفْتَرى، وقد كانَ حصل في القلب عبرة في أمره صلّى الله عليه وسلّم وأفاضِل أصحابه، رضي اللَّه عنهم أجمعين، وسلك بنا مَنَاهِجَهُمُ المَرْضيَّة، والحمد للَّه، وسَلَامٌ على عباده الذين اصطفى/ وصلَّى اللَّه على سيِّدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلّم تسليما لقد كان في قصصهم عبرة ما كان حديثا يفترى[4].

- تنزيل الترغيب في الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم من خلال النظر في سيرته وهو من الاسقاطات الشخصية للإمام الثعالبي.

---

[1] «تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن» (2/ 268)

[2] «تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن» (3/ 77)

[3] «تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن» (3/ 86).

[4] «تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن» (3/ 357).

– وقوله سبحانه:﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ مَاء فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ لَهُ ما فِي السَّماواتِ وَما فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ الحج 64 قوله:فَتُصْبِحُ عبارة عن استعجالها إثر نزول الماء وروي عن عكرمة أنه قال: هذا لا يكون إلّا ب «مكّة» و «تهامة» .قال ع : ومعنى هذا أنه أخذ قوله: فَتُصْبِحُ مقصوداً به صباحُ ليلة المطر، وذهب إلى أَنَّ ذلك الاخضرار في سائر البلاد يتأخر. قال ع : وقد شاهدتُ هذا في السُّوسِ الأقصى، نزل المطرُ ليلاً بعد قَحْطٍ، وأصبحت تلك الأرض الرملة التي تسفيها الرياح قد اخضَرَّت بنبات ضعيف دقيق.

قلت: وقد شاهدتُ أنا ذلك بصحراء سواكن بالمشرق، وهي في حكمُ مكةَ إلَّا أَنَّ البحر قد حال بينهما وذلك أَنَّ التعدية من جده إلى «سواكنَ» مقدار يومين في البحر أو أقلَّ بالريح المعتدلة، وكان ذلك في أَوَّلِ الخريف، وأجرى الله العادة أَنَّ أمطارَ تلك البلاد تكونُ بالخريف فقط، هذا هو الغالب، ولَمَّا شاهدتُ ذلك تذكرتُ هذه الآية الكريمة، فسبحان الله ما أعظم قدرته! واللطيف: المُحَكَّمُ للأمور برفق[1].

- وهذا تنزيل الترغيب الى تدبر دلائل قدرة المولى و آياته الله الكونية .

– «قلت: وفي قوله سبحانه: ﴿وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ ما زكى مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَداً﴾ النور 21، ما يردع العاقلَ عن الاشتغال بغيره، ويُوجِبُ له الاهتمامَ بإصلاح نفسه قبل هجوم مَنِيَّتِهِ وحُلُولِ رَمْسِهِ» [2].

- وهذا تنزيل في الترهيب من الاشتغال بأعراض المسلمين.

– «﴿سَبَّحَ لِلَّهِ ما فِي السَّماواتِ وَما فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (1) يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ (2) كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا ما لا تَفْعَلُونَ (3)﴾ الصف 03.

واخْتُلِفَ في السببِ الذي نزلتْ فيه: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ فقال ابن عباس وغيره: نزلتْ بسببِ قَوْمٍ قالوا: لَوْ عَلِمْنَا أَحَبَّ العَمَلِ إلى اللَّهِ تعالى لسَارَعْنَا إليه، ففرضَ اللَّهُ الجهادَ وأعلَمَهُمْ بفَضْلِه وأَنَّهُ يُحِبُّ المقَاتِلِينَ في سبيله كالبنيانِ المَرْصُوصِ، فَكَرِهَهُ قَوْمٌ منهم، وفَرُّوا يومَ الغزوِ فَعَاتَبَهُمُ اللَّهُ تعالى بهذه الآية، وقال قتادة والضحاك: نزلتْ بسببِ جماعةٍ من شبابِ المسلمينَ كانوا يَتَحَدَّثُونَ عن أنفسِهم في الغزو بما لم يفعلوا، قال ع: وحُكْمُ هذهِ الآيةِ بَاقٍ غَابِرَ الدهرِ، وكلَّ مَنْ يقولُ ما لا يفعلُ فهو مَمْقُوتُ الكلامِ، والقولُ الأولُ يَتَرَجَّح بِمَا يأتي [من أمْرِ] الجهادِ والقتالِ، والمقتُ البغضُ، مِن أجل ذنبٍ، أو رِيبَةٍ، أو دناءة يصنعها الممقوت، وقول المرء مَا لا يفعلُ مُوجِبٌ مَقْتَ اللَّهِ تعالى، ولذلك فرَّ كثيرٌ من العلماءِ عَنِ الوَعْظِ والتذكيرِ وآثرُوا السكوتَ،- قلت-: وهَذا بحسَبِ فِقْهِ

[1] «تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن» (4/ 135).

[2] «تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن» (4/ 176).

الحالِ إنْ وَجَدَ الإنْسانُ مَنْ يكفِيه هذه المئونة في وقتهِ، فَقَدْ يَسَعُه السكوتُ وإلا فَلَا يسعُه[1].

- وهذا أيضا فيه ترغيب الدعاة والعلماء في نشر رسالة الإسلام التي يحملونها وترهيبهم من كتمها ما لم يوجد من يتصدى لذلك.

- ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً أُولئِكَ ما يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ وَلا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ﴾ البقرة (174).

وهذه الآية وإن كانَتْ نزلَتْ في الأحبار، فإنها تتناوَلُ من علماء المسلمين مَنْ كتم الحقَّ مختاراً لذلك بسبب دُنْيَا يصيبُهَا، وفي ذكر البَطْنِ تنبيهٌ على مذمَّتهم بأنهم باعوا آخرتهم بحظِّهم من المطعم الذي لا خَطَرَ له، وعلى هُجْنَتِهِمْ بطاعة بُطُونهم، قال الرَّبِيع وغيره: سمى مأكولهم ناراً لأنه يؤول بهم إلى النار، وقيل: يأكلون النار في جَهَنَّمَ حقيقةً[2].

ت: وينبغي لأهل العلْمِ التنزُّه عن أخْذ شيء من المتعلِّمين على تعليم العلْم، بل يلتمسُونَ الأجر من اللَّه عزَّ وجلَّ. ترهيب العلماء عن تقاضي الأجرة في نشر العلم.

- ﴿ادْعُ إِلى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ الأنعام (125)» وقوله سبحانه: ادْعُ إِلى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ هذه الآيةُ نزلَتْ بمكَّة، أمر عليه السلام أنْ يدعو إلى دينِ اللَّه وشَرْعِهِ بتلطُّف، وهكذا ينبغي أنْ يوعَظَ المسلمون إلى يوم القيامة.[3]

- الترغيب إلى الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة.

- ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ﴾ الأنبياء (01)، ت: أَيَّها الأَخُ أَشْعِرِ قلبك مَهَابَةَ رَبِّك، فإليه مآلك وتأهب للقدوم عليه فقد آنَ ارتحالك أنت في سكرة لذاتِك وغشية شهواتكِ وإغماء غفلاتِك ومِقْراضُ الفناء يعمل في ثوب حياتك ويفصل أجزاء عمرك جُزْءاً جزءاً في سائر ساعاتك كل نفس من أنفاسك جزءٌ منفصل من جملة ذاتك وبذهاب الأجزاء تذهبُ الجمل، أنت جملة تؤخذ، آحادها وأبعاضها، إلى أن تستوفي سائرها عساكر الأقضية، والأقدار مُحْدقة بأسوار الإعمار تهدمُها بمعاول الليل والنهار فلو أضاء لنا مِصْباحُ الاعتبار لم يبقَ لنا في جَمِيع أوقاتنا سكونٌ ولَا قَرار[4].

- وهذا التنزيل فيه ترهيب من الغفلة عن الموت والاستعداد للرحيل واستشعار يوم القيامة.

---

[1] «تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن» (5/ 424)

[2] «تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن» (1/ 361)

[3] «تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن» (3/ 447)

[4] «تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن» (4/ 80).

- ﴿فَاصْبِرْ كَما صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا ساعَةً مِنْ نَهارٍ بَلاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفاسِقُونَ﴾ الأحقاف (35).

وقوله: وَلا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ معناه: ولا تستعجلْ لهم عذاباً فإنَّهم إليه صائرون، ولا تَسْتَطِلْ تعميرَهُمْ في هذه النِّعْمَةِ فَإِنَّهم يوم يَرَوْنَ العذاب كأنهم لَم يَلْبَثُوا في الدنيا إِلَّا ساعةً لاِحتقارهم ذلك لأَنَّ المنقضيَ من الزمان يصير عَدَماً.

ت: وإذا علمتَ- أَيُّها الأَخُ- أَنَّ الدنيا أضغاثُ أحْلَام، كان من الحزم اشتغالُكَ الآنَ بتَحْصِيلِ الزادِ لِلْمَعَاد، وحِفْظِ الحَواسِّ، ومراعاةِ الأنفاس، ومراقبة مَوْلَاك، فَاتَّخِذْهُ صاحباً، وذَرِ الناس جانباً [1].

- وهذا تنزيل الترهيب في الحذر من الاغترار بالدنيا والاشتغال بها والبقاء فيها والترغيب في تحصيل الزاد الأخروي وصحبة الله عز وجل.

- وقوله تعالى: ﴿فَاقْرَؤُا ما تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾ المزمل (20)، هو أَمْرُ نَدْبٍ في قولِ الجمهور، وقال جماعة: هو فَرْضٌ لَا بُدَّ منه ولو خَمْسِينَ آيةً، وقال الحسنُ وابن سيرين: قيامُ الليل فَرْضٌ وَلَوْ قَدْرُ حَلْبِ شَاةٍ، إلا أنَّ الحسنَ قال: مَنْ قَرأَ مِائَة آيةٍ لَمْ يُحَاجَّهُ القرآن واسْتَحْسَنَ هذا جماعةٌ من العلماء قال بعضهم: والركعتانِ بَعْدَ العشاءِ مَعَ الوِتْرِ دَاخِلَتَانِ في امتثالِ هذا الأَمْرِ ومن زَادَ زَادَهُ اللَّه ثواباً، ت: ينبغي للعاقِلِ المبَادَرَةُ إلى تَحْصِيلِ الخَيْرَاتِ قَبْلَ هُجُومِ صَوْلَةِ المَمَاتِ[2].

- وهو إسقاط الترغيب في صلاة قيام الليل والتحصيل في الدنيا بالنوافل وقراءة القرآن.

الخاتمة

وفي ختام هذا العمل نخلص إلى ما يلي:

- أن الإمام الثعالبي من العلماء الجزائريين أصحاب النفس العميق في علوم القرآن والسنة.

- أن تفسير الجواهر الحسان من التفاسير التي أضافت إلى الخزانة العلمية نوعًا معينا من التفاسير، حيث انتهج فيه صاحبه مسائل وطرق عديدة، ومن ذلك الاستشهاد بالأحاديث النبوية، والاعتماد على من سبقه من علماء الشأن المتقدمين والمتأخرين، وتنزيله للعديد من المسائل في تفسيره على الواقع الذي يعيشه إذاك.

- نستطيع أن نصف معظم إسقاطات الإمام الثعالبي في الباب العقدي المتمثل في الترهيب من الآخرة والأخلاق المذمومة والقيامة ووعيدها والترغيب في والعمل الصالح والجنة ونعيمها.

---

[1] «تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن» (5/ 225).

[2] «تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن» (5/ 506).

– كما أوصي الباحثين أن يهتموا بتراث هذا العالم الجليل بتحقيق مالم يتحقق من أعماله ومخطوطاته حتى ترى النور، ويستفيد منها أهل هذا الزمان كونها تعد استقراء في تاريخ الجزائر بذكر بعض العادات والعبادات التي كانت في زمن أجدادنا والاستفادة منها.

المصادر والمراجع

- آراء الشيخ عبد الرحمن الثعالبي الاعتقادية، من خلال تفسيره الجواهر الحسان، رسالة ماجيستير في العقيدة، علي بن يحي كعبي، إشراف: شريف الشيخ صالح أحمد الخطيب، جامعة أم القرى، الملكة العربية السعودية.
- تاريخ الجزائر العام، لعبد الرحمن الجيلالي، دار الثقافة، بيروت، لبنان، نقلاً عن : علي كعبي، آراء الثعالبي الاعتقادية.
- التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، محمد بن ميمون الجزائري، تقديم: محمد بن عبد الكريم، ط2، 1981م، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر.
- تنزيل الآيات على الواقع عند المفسرين، دراسة وتطبيق لعبد العزيز بن عبد الرحمان الضامر، ط 01، 2007م، جائزة دبي الدولية للقران الكريم .
- جمهرة اللغة لابن دريد.
- الجواهر الحسان في تفسير القرآن، للثعالبي، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، وآخرون، الطبعة الأولى، 1418هـ، 1997م، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.
- خلافة الإنسان بين الوحي والعقل، للدكتور عبد المجيد النجار
- شجرة النور الزكية، محمد ابن سالم مخلوف، تعليق عبد المجيد خيالي، الطبعة الأولى، 1424 هـ - 2003 م، دار الكتب العلمية، لبنان.
- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، شمس الدين السخاوي، منشورات دار مكتبة الحياة – بيروت، لبنان.
- غنيمة الوافد وبغية الطالب الماجد، فهرست مرويات الثعالبي، تحقيق: محمد شايب شريف، الطبعة الأولى، 1426هـ، 2005م، دار ابن حزم، بيروت لبنان.
- لسان العرب لابن منظور .
- معجم المؤلفين، عمر بن كحالة الدمشقي، مكتبة المثنى - بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت، لبنان.
- معجم مقاييس اللغة لابن فارس .
- نيل الابتهاج بتطريز الديباج، للتنبكي، تقديم: الدكتور عبد الحميد عبد الله الهرامة، الطبعة الثانية، 2000م، دار الكاتب، طرابلس، ليبيا.